مقدمـــة:

كان هاجس الاستفادة من تجارب الشعوب في المقاومة وإمكانية اشتقاق قوانين ومعادلات قابلة للإفادة منها في تطوير التجربة العراقية، دافعاً قوياً وحافزاً وراء فكرة تأليف هذا الكتاب، فهذه التجارب رغم اختلافها زماناً ومكاناً وخصوصيةً إلاّ أنها تتشابه في بعض المحطات مع الخصوصية العراقية لكون جوهر الصراع وطبيعة أطرافه تكاد تكون ثابتة في هذه التجارب كافة، حيث تقف الشعوب على طرف ويقف الاحتلال والعدوان على الطرف الثاني.

والحقيقة إن هذا الكتاب لا يعد دراسة مقارنة بقدر ما يشكل مزيجاً من تفاعل ثلاث مقتربات ومناهج، الأول دراسات نظرية في جوهر الصراع باعتباره تنازع للإرادات وفي الإستراتيجية باعتبارها فن تحقيق الأهداف السياسية، العنصر الثاني دراسة معمقة لتجارب الشعوب والتركيز على المقدمات الصحيحة ومفاتيح النصر والإخفاقات التي رافقتها في كافة مراحل صراع هذه الشعوب، بقي العنصر الأخير في هذا الكتاب ويشكل هدف الكتاب وهو تجربة المقاومة العراقية في كيفية انبثاقها وطبيعة إنجازاتها ومدى مطابقتها لمعايير الصراع الإستراتيجية وتقييم كل ذلك اعتماداً على معايير موضوعية قائمة على أساس عنصر التجارب الإنسانية من جهة ومعايير الهندسة النظرية للصراعات من جهة أخرى.

لقد افتقرت المقاومة العراقية منذ انبثاقها إلى جهد التأطير السياسي والفكري لإنجازاتها وتطور مراحلها، فبدت للعالم وسط الحصار والتعتيم والحرمان من الحاضنة الخارجية وكأنها محصورة في شقها العسكري، في حين أن القتال بحد ذاته لم يكن هدفاً في كافة تجارب الشعوب الناجحة وإنما وسيلة يقتصر دورها ضمن منظومة الصراع الشاملة في حيز تحقيق الأهداف السياسية العليا ضمن المحصلة النهائية لتكامل وتناغم عدة أنواع من ردود أفعال الشعب المقاوم التي تتخذ في كل مرحلة طبيعة ووزن خاص في التأثير في توازن القوة بمنحنى الصراع.

obeikandl.com

كما عزز وضوح بعض مخرجات الصراع في العراق في الشق العسكري والسياسي من إمكانية الدراسة والتحليل والاستنتاج الدقيق، رغم أن ظاهرة المقاومة العراقية لم تتبين بعد كافة ملامحها لعمق وغزارة إنتاجها وتداخل مستوياتها، ولا تزال تداعياتها لم تظهر بصورة جلية وكاملة، من هنا يأتي هذا الكتاب كمحطة على الطريق، ومحاولة للإسهام في تفسير وحل الكثير من التناقضات، والاجتهاد في وضع الأجوبة اللازمة لكثير من التساؤلات الكبرى التي تشكلت و تنامت عبر المسيرة الكبرى لهذه المقاومة الفريدة.

خلال تصفح مسيرة الشعب الفييتنامي وتطور مراحل نضاله وهو يتقلب لعشرات السنين في العبودية من استعمار فرنسي إلى استعمار أمريكي، لفت نظرنا وجود بعض القوانين الحاكمة التي كانت حاسمة في انتصار الشعب الفييتنامي والتي لابد من الإشارة إليها. لعل أولها وجود قيادة وجبهة (Front) من النمط الإستراتيجي القادر على دراسة واقع الصراع بشموليته والتعامل مع كافة تفاصيله، وثانياً القدرة الفائقة إلى حد الألم لهذه القيادة على الاعتراف بالهزيمة والأخطاء الجسيمة ومحاسبة الذات بشدة ومراجعة وتقييم المراحل السابقة بقسوة وشجاعة فائقة وشعور عالٍ بالمسؤولية لغرض الانطلاق بقوة من جديد، وبموجات متتالية من المقاومة أضعفت عزيمة العدو وأصابته بالملل إلى حد الهزيمة. واستطاعت هذه القيادة تغيير بوصلة أجيال المقاومة وانتشالها من التقوقع في خنادق التاريخ والاندفاع بها نحو المستقبل ذلك لأن المقاومة ليست سوى محطة على طريق مشروع متكامل لتحرير الأرض والإنسان. لقد تمخضت تجارب الشعوب عن درس أساسي وهو أن عمر الاحتلال منوط بطبيعة القيادة فهي المسؤولة والقادرة على إحداث الانتقالات النوعية في منحنى الصراع والمسؤولة عن تقصير أو إطالة عمر الاحتلال، أما الشعوب المقهورة فهي مضحيَّة على طول الخط.

من جانب آخر فإن هذه الدراسة تحاول غرس مفاهيم وأسس وقوانين الإستراتيجية غير المباشرة التي تعتبر العامل العسكري جزءًا من عناصر الإستراتيجية الأخرى السياسية والإعلامية والاجتماعية وليس العنصر الحاسم والوحيد، ففقدان أو ضعف

obeikandl.com

حماسة الحاضنة الشعبية يؤثر مباشرة على فعالية العمل المسلح والعكس غير صحيح، ولا يمكن للمقاومة أن تعيش معزولة أو مقطوعة عن محيطها، وهو أمر قد يثير اللبس ولكنه في الحقيقة جاء منسجماً تماماً مع وضعية المقاومة العراقية وقائماً على دراسة دقيقة وتقييم مدخلات ومخرجات الصراع الحالية، فالحقيقة الإستراتيجية التي تواصل أقسام هذا الكتاب ترسيخها وتأكيدها على التوالي تخلص إلى أن العمل المسلح رغم أهميته كرأس حربة في المقاومة وتحمله مسؤولية حسم الصراع العسكري على الأرض لكنه يبقى بدون قيمة إلا بحدود نتائجه السياسية وتأثيره النفسي.

جوهر هذا الكتاب يقوم على ضرورة القتال بأفكار جديدة قبل استعادة المبادأة والقتال بسلاح جديد، فالقوة كل القوة تكمن في أصل الفكرة التي تحمل السلاح وليس في السلاح ذاته، فلقد تمكنت المقاومة العراقية من تنفيذ 1100 عملية عسكرية في اليوم الواحد في عام 2006 مصنفة لدى القوات الأمريكية على أنها «مهمة وعنيفة» طبقاً لتقرير لجنة بيكر – هاملتون، وهو إنجاز لم تصله تجربة ما لأي مقاومة عبر التاريخ، ولكن خلل الجناح السياسي أدى إلى ضياع التوظيف الإستراتيجي اللازم لهذه الانتصارات العسكرية الفذة والفريدة والتي ستدرَّس يوماً ما في معاهد العالم العسكرية. ولتعزيز مواقع المقاومة المتقدمة فإن الأمر يتطلب محاكاة منظور إستراتيجي متكامل بمعنى البدء بتحديد الأهداف السياسية العليا وإعادة ترتيب أولويات المخاطر والتهديدات دورياً على كافة المستويات محلياً وإقليمياً ودولياً، وكذلك حساب الإمكانيات الفعلية والمتاحة، ومن حاصل مواءمة ومطابقة هذه الإمكانيات مع حجم المخاطر والتهديدات يمكن صياغة إستراتيجية العمل لكل مرحلة وحسب مديات قصيرة ومتوسطة وبعيدة بما يضمن تكامل وتناوب عمل الإستراتيجيات الفرعية كل بحسب اختصاصها وكيفية تبادل الأدوار بينها بصورة مدروسة ومحكمة.

كذلك تم التركيز في بعض مباحث هذا الكتاب على مفاتيح لا غنى عنها في تقدم المقاومة العراقية وانتقالها إلى مرحلة جديدة، منها وحدة القيادة والسيطرة وشرط استعادة الحاضنة الشعبية وأهمية المقدمات السياسية في انبثاق الجيل الثاني للمقاومة

obeikandl.com

العراقية، ولاشك أن مراجعة جادة وقاسية قد تضمنها هذا الكتاب ولكنها في نفس الوقت بنّاءة، وتمت مواجهة الكثير من الحقائق والتناقضات وجهاً لوجه وليس الهروب من أمامها أو تأجيلها كما يطالب البعض، فالتجربة تشير إلى أن حل هذه التناقضات هو الخطوة الأولى على الطريق الصحيح وأن تأجيلها أو تجاهلها يؤدي إلى تراكمها لتشكل عبئاً ثقيلاً وخطيراً قد يفجر إستراتيجية العمل برمتها في أي لحظة.

إن هيكلية الكتاب كما هو واضح من الفهرست تقوم على ثلاثة أقسام: الأول مدخل نظري مفاهيمي بمثابة لوحة مفاتيح لفهم وملاحقة وتصنيف ما سيرد لاحقاً من أفكار وأطاريح، وتضمَّن لأول مرة فكرة طالما تم تجاهلها وعدم الاهتمام بها وهي فكرة المستقبل وتحويلها من فكرة عاطفية مثالية إلى ثقافة مقاومة تم في هذا القسم محاولة تأطيرها بقوانين علمية وصياغتها بمعادلات. القسم الثاني تداول تحول صراع الإستراتيجيات ما بين المقاومة العراقية والاحتلال الأمريكي، أما القسم الأخير فيمثل هدف الكتاب وغايته من خلال صياغة قواعد سلوك وقواعد مستقبلية لفروع الإستراتيجية ومحاولة ربطها ببعضها من خلال تفصيل كافة أنماط المقاومة العسكرية والسياسية والمدنية والإعلامية وباب العلاقات الخارجية والتكامل مع المقاومة العربية والعلاقة مع حركات التحرر العالمية بما يتناسب مع خصوصية المقاومة العراقية ومنسجمة مع مبادئ الإستراتيجية غير المباشرة ممزوجة بتجارب الشعوب في مقاومة الاحتلال .

في الختام فإن الكاتب لا يدّعي أنه استطاع الإحاطة بكافة ملامح تجربة المقاومة العراقية، فهي كما مر ذكره ظاهرة أكبر وأعمق وأضخم من أن يستطيع تناولها كاتب أو مجموعة كتاب، فلا يزال هناك نقص حاد في مستوى الاهتمام بهذه الظاهرة الإنسانية من قبل الباحثين ومراكز الدراسات العربية والأجنبية.

الدكتور المهندس خالد المعيني 2011

obeikandl.com

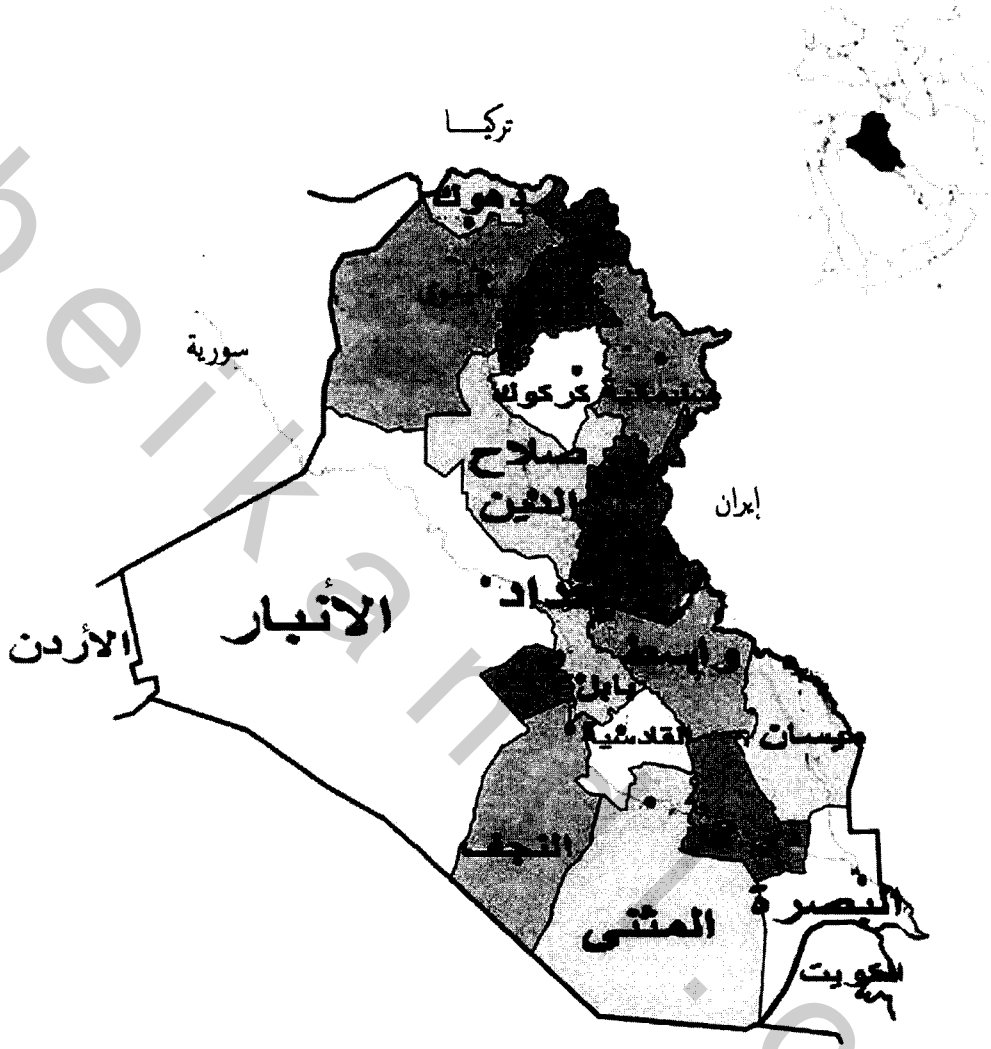

خارطة العراق

obeikan.com

نبذة عن العراق

يُعـدُّ العراق أحد أقدم مراكـز الاستقرار البشري لوفرة مياهـه وخصوبة أراضيه وتوسـط موقعـه بين المحيـط الهندي والبحـر المتوسـط .. توالدت بيـن رافديه خمس حضارات: السومريـة والأكدية والبابلية والآشورية والحضـارة العربية الإسلامية، أغنت هـذه الحضارات الفكر الإنسانـي وساهمت في تطور البشرية، فكتب أول حرف وصدحت أقـدم قيثـارة سومريـة للموسيقـى وشرع حمورابـي أول قانون فـي التاريـخ وصنعت أول (مسلة): مركبة عسكرية أشورية.

الموقـع : يقـع العراق في الجزء الشمالـي الشرقي من الوطـن العربي تفصله عن تركيـا في الشمال وعـن إيران من الشرق سلاسل جبلية تشكل حـدًّا طبيعياً، فيما يندمج ببلاد الشام من الغرب وبشبه الجزيرة العربية في الجنوب ويطل في الجنوب على الخليج العربي، ساعد هذا الموقع مع توفر مياه نهري دجلة والفرات والأراضي الزراعية الواسعة على نشوء الحضارات المتعاقبة .

المساحة : 438446 كم مربع، أربعمائة وثمان وثلاثون ألف وأربعمائة وست وأربعون كيلومتر مربع.

عدد السكان : 30 مليون نسمة.

الحـدود البريـة : يحـده كل من إيـران 1458 كـم، تركيا 352 كم، سوريـا 605 كم، الأردن 181 كم، السعودية 814 كم، الكويت 240 كم .

المنـاخ : تتـراوح معدلات درجات الحرارة مـن 48 درجة مئوية في تموز وآب إلى ما دون الصفـر فـي كانون الثاني، تسقـط معظم الأمطار خلال الفترة مـن كانون الأول إلى نيسان ويتراوح معدل الهطول ما بين 10 – 18 سم سنوياً .

المصادر الطبيعية : النفط، الغاز، الفوسفات، الكبريت.

obeikandl.com